المدرسة الحزمية النقدية التاريخية والدراسات اليهودية

ملخص

لا يزال التناول العلمي للدراسات اليهودية وللظواهر الدينية ككل شبه متجاهل رغم الأهمية الكبرى لفهم المنافسة الحضارية. فقد بادر الأوائل في حضارتنا في تناول الآخر بعمق حسب الأدوات المعرفية والمناهج النقدية المتاحة آنذاك.

ونتيجة لأهمية هذا التراث الذي كان المنبع الرئيس للدراسات الغربية في تناولها الظاهرة الدينية وخصوصا النص الديني، فإنه فرض علينا إعادة النظر في هذا التراث وإبرازه وإبعاد العقم الفكري في هذا المجال من الدراسات الإنسانية للكشف عن أحقيته في الريادة العلمية المنهجية النقدية وابرز علماء هذا التراث هو الناقد ابن حزم الأندلسي الذي كان نبراسا لابن عزرا والفيلسوف باروج اسبينوزا .

د. بشير كردوسي
جامعة الأمير عبد القادر
قسنطينة
الجزائر

Résumé

ابن حزم: (384/456هـ) (994/1064م)

واسمه علي بن أحمد بن سعيد بن غالب بن صالح بن سفيان بن يزيد، وكنيته أبو محمد، و هي التي كان يعبر بها في كتبه، وشهرته ابن حزم.

وقد كان مولده بقرطبة بالجانب الشرقي في الثلاثين من شهر رمضان سنة 384 هـ أي 994م (1)، من أسرة منتمية إلى الخاصة، فقد كان أبوه وزير للحاجب المنصور بن أبي عامر القائم آنذاك بشؤون الدولة الأموية في محل الخليفة هشام الثاني (2) فشاء القدر أن ينعم ابن حزم بالرخاء والغنى الذي كان أبوه ينعم به، فنشأ في أسرة مترفة،

© جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر 2009.

مثقفة، وتلقى دروسه الأولى على أيدي النساء، الجواري و القريبات فحفظ على أيديهن القرآن الكريم وقسطا وافرا من الأحاديث النبوية والأشعار العربية، كما تلقى عن أبيه الإقبال على الحياة بروح أدبية عالية، وأفاد من رجاحة عقله، ورفعة شأنه.(3).

فبرز ابن حزم بين أهل الأندلس بعلمه الوافر والموسوعي، فقد تشبع بجميع علوم عصره، فلم يترك علما إلا وكان له منه نصيب" حتى أصبح من ألمع وكبار العلماء بالأندلس فكان، فقيها، أصوليا، فيلسوفا ،مؤرخا ،عالما بالأديان ، شاعرا وأديبا.

وقد كان من الذين أظهروا للوجود، المذهب الظاهري فكان ظاهريا لا يقبل التأويل للقرآن الكريم، وبذلك أراد نشر هذا المذهب من جديد بالأندلس، ولكن تعرض لمحاصرة العلماء والفقهاء والحساد، فتوالت عليه النكبات حتى " انتهت رحلاته إلى الإقامة الجبرية في قرية يملكها أسلافه وآلت إليه، وهو لينئ عن البحث والدرس والتأليف للشباب المتعطش وقتها"(4).

وتوفي ابن حزم، في إقامته الجبرية، بدار والديه، معتزلا الدنيا، فكانت نهاية شمعة من الشموع الكبرى الأندلسية قد انطفأت سنة 456هـ/ 1064م ورغم النكبات التي مرت به، فقد كان غزيرا في التأليف، فقد كتب في مختلف العلوم كتبا قيمة كان لها صدى عظيم في العالم الإسلامي إلا أنه مع الأسف قد ضاع منها الكثير.

ولنكتف بأهمها وأشهرها:

- في الأدب: رسالة الأخلاق وطوق الحمامة
- في التاريخ: جمهرة أنساب العرب (5).

- كتابه الموسوعي، الفصل في الملل والأهواء النحل، والذي تعرض فيه للدراسة محللا وناقد للأديان، ومن جملة مباحثه، التوراة اليهودية، معنونا، دراسته ب " فصل في مناقضات ظاهرة وتكاذيب واضحة في الكتاب الذي تسميه اليهود التوراة وفي سائر كتبهم وفي الأناجيل الأربعة يتيقن بذلك تحريفها وتبديلها وأنها غير الذي أنزل الله عز وجل".

- المقدمات المنهجية الضرورية لدراسة الأديان:

قد توافرت لأبن حزم في هذا السبيل أدوات البحث، إلا أنه لم يكن يعرف اللغة العبرية، لغة التوراة اليهودية، كما يذكر، الدكتور إحسان عباس، وكما يفصل في هذا ابن حزم نفسه بقوله: " ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية" (6).

فقرأ التوراة وهي الأسفار الخمسة الأولى، وقد كانت مترجمة، ولم تكن هناك ترجمة واحدة معتمدة لقوله: " ورأيت في نسخة أخرى منها ".

"وإذا تحدث ابن حزم عن أسفار التوراة استعمل أسماء معربة مثل سفر التكرار (التثنية)، أو استعمل الأسماء العبرية"(7).

فابن حزم، قد أطلع على المصادر الرئيسية المستعملة في دراسته، كما يذكر: " وليعلم كل من قرأ كتابنا هذا أننا لم نخرج من الكتب المذكور شيئا يمكن أن يخرج على وجه ما وإن دق وبعد فالاعتراض بمثل هذا لا معنى له وكذلك أيضا لم نخرج منه كلاما لا يفهم معناه وإن كان ذلك موجودا فيها (8).

كما أنه، كان مطلعا على الأسفار الأخرى، غير الأسفار الخمسة، وعلى كل كتب وشروح اليهود، يسميها ويكتفي بالإشارة إليها، كما أنه مطلع على بعض كتب التلمود، ككتاب توماو سادر ناشيم، وقرأ أيضا تاريخ يوسيفوس، بالإضافة إلى هذا مجاراتهم ومجادلتهم لمعرفة حالهم. (9)

إن التأملات المنهجية في حقل البحث الديني والاتجاه البيوتخصصي في تاريخ الأديان في الحقل الأكاديمي اليوم،يجد أن ابن حزم قد انطلق من مقدمات وركائز منهجية في دراسته للكتاب المقدس اليهودي-التوراة-وهي:

-الرجوع للمصادر الأصلية.

-المعرفة العلمية التطبيقية لأصحاب الاعتقاد،وهو من صميم المنهج في علم التاريخ المقارن للأديان اليوم،بعدما كان مستعملا فقط في الانتروبولوجية،مكتفيا الباحث في تاريخ الأديان الاعتماد على كتب الرحلات والانتربولوجيين، وهذا مايقصد به ابن حزم عندما،قال: مجاراتهم ومجادلتهم لمعرفة حالهم.

إن هذه المنطلقات المنهجية هي التي فرضت عليه في أن تكون دراسته ونقده في وجهين كبيرين أو مسلكين .

- الوجه الأول: النقد الداخلي:

إن ابن حزم، قد تناول التوراة، دراسة، داخلية، وهو مايعرف في مجال النقد الحديث بالنقد النصيla critique textuelle،(textkrituk) والنقد التاريخي، la critique historique فعنده، أن تحريف التوراة، كان له ثلاثة أشكال، الفقرات أو الآيات التي رأى فيها أخطاء أو حذف ثم الفقرات المتناقضة فيما بينها، ثم الفقرات التي نسبت كذبا وزورا إلى الله والأنبياء.

1) الشكل الأول: الآيات أو الفقرات التي فيها أخطاء أوحذف:

- سفر التكوين 2: 10-15:

"وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة، ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم الواحد فيشون، وهو المحيط بجميع أرض كوش، وغسم الثالث حداقل، وهو الجاري شرقي أشور، والنهر الرابع الفرات، وأخذ الرب الإله أدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها".

فابن حزم يعترض على هذه الآيات، بأنها أخطاء جغرافية لا تغتفر، فيقول "كل من

يمشي إلى مصر والشام والوصول يدري أن هذا كله كذب فاضح وأن مخرج النيل من عين الجنوب من خارج المعمور ومصبه قبالة الإسكندرية في آخر أعمال مصر في البحر الشامي وأن مخرج الدجلة والفرات وجيحان من الشمال..."(10).

وأخرى وهي قوله أن النيل محيط ببلد زويلة وجيحان محيط ببلد الحبشة وهذه كذبة شنيعة فاحشة ما في جميع أرض السودان الحبشة وغير الحبشة نهر غير نهر النيل أصلا ويتفرع سبعة فروع كلها مخرج واحد ثم يجتمع فوق بلاد النيل"(11). "وكذبة ثالثة وهي قوله أن ببلد زويلة اللؤلؤ الجيد وهذا كذب ما للؤلؤ بها مكان أصلا، إنما اللؤلؤ في مغاصاته في بحر فارس وبحر الهند وأنهار بالهند والصين (12).

فابن حزم، يقول عن هذه الفقرة أنهم" نسبوا إلى الله تعالى الكذب لأنه وعده أن يفديه إلى سبعة ولم يفده وأيضا فإن ذكر السبعة هنا حمق لأن الذي قتله هو الخامس من ولد قايين وقايين هو الخامس من أباء لأمك فلا مدخل للسبعة ها منا"(13).

- سفر التكوين 46: 12-13:

"وبنو يهود عير وأونان وشيلة وفارص وزراح وأماعير وأونان فماتا في أرض كنعان وكنا ابنا فرص حصرون حامول وبنو يشكر يولاع وفوه ويوب وشمرون"

فيعقب ابن حزم على هذه الفقرات بقوله:" فذكر فيهم حصرون وحامون ابني فارصبن يوذا ، هذا وذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام إذ بلغ ستة عشرة سنة... إنهم باعوه، ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذا دخل على فرعون وفسر له رؤياه في البقرات والسنابل وولاه أمر مصر ابن ثلاثين سنة ثم ذكر في توراتهم أن يوسف عليه السلام كان إذا دخل أبوه مصر مع جميع أهله تسعة وثلاثين سنة هذا منصوص فيها بلا خلاف ... فصح يقينا أنه لم يكن بين يعقوب مع نسله مصر وبين بيع يوسف إلا اثنان وعشرون سنة ... وقد ذكر في توراتهم أن هذه المدة تزوج يهوذا بنت يشوع وولد له ولدا ثم ثانيا ثم ثالثا وأن الأكبر بلغ فزوج زوجة ثم مات بعد دخوله بها فزوجت بعده من أخيه فكان يعزل عنها فمات وبقيت مدة حتى كبر الثالث ولم تزوج منه فزنت بيهوذا والد زوجها فولد منها توأمان ثم ولد لأحد دنيك التوأمين ابنان وهذا محال ممتنع....."(14)

ثم يتبع ابن حزم تعداد الولادة حتى يصل إلى رجل(طفل) له ثماني أو سبع سنين له ولدان فيقول " فمن المحال الممتنع في العقل أن يوجد هذا (15) سفر الخروج 12: 40-41:

"وإما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة وكان عند نهاية أربع مائة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد الرب خرجت من أرض مصر"

فعلق ابن حزم على هذه بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مئة وثلاثين سنة وكان عند نهاية أربع مائة وثلاثين سنة في ذلك اليوم عينه أن جميع أجناد

الرب خرجت من أرض مصر"

فعلق ابن حزم على هذه الفقرات بقوله: " هذه فضيحة الدهر وشهرة الأبد وقاصمة الظهر يقول هاهنا أن مسكن بني إسرائيل بمصر أربع مائة سنة وثلاثون سنة وقد ذكر قبل أن فاهاث ابن لاوي المذكور كان مائة سنة وثلاثين سنة (16) وأن عمران بن فاهات... مائة وسبعا وثلاثين سنة(17) وأن عمران فاهاث... مائة وسبعا ثلاثين سنة (18) وموسى بن عمران كان ابن ثمانين سنة (19).

... فهبك أن فاهاث دخل مصر ابن شهر أو أقل وأن عمران ابنه ولد بعد موته وأن موسى بن عمران ولد بعد موت أبيه ليس يجتمع مع كل ذلك إلا ثلاث مائة عام وخمسون عاما فقط فأين الثمانون عاما الباقية من جملة أربع مائة سنة وثلاثين سنة، فأن قالوا نضيف إلى ذلك مدة بقاء يوسف بمصر قبل دخول أبيه وإخوته قلنا قد بين في التوراة أنه كان إذا دخله ابن سبع عشرة سنة وأنه كان عندما دخلها أبوه وإخوته ابن تسع وثلاثين سنة فأما مكان مقامه بمصر قبل أبيه وإخوته اثنين وعشرين سنة ضمها إلى ثلاثمائة سنة وخمسين سنة يقوم من الجميع بلا شك ثلاثمائة واثنان وسبعون سنة أين الثماني والخمسون الباقية من أربعمائة وثلاثين سنة هذه شهرة لا نظير لها وكذب لا يخفى... فكيف ولابد أن يسقط من هذه المدة سن فاهاث إذ ولد له عمران وسن عمران إذ ولد له موسى عليه السلام و الصحيح الذي لا يخرج على نصوص كتبهم أن مدة بني إسرائيل مذ دخل يعقوب وبنوه مصر إلى أن خرجوا منها مع موسى عليه السلام لم تكن إلا مائتي عام وسبعة عشرة عاما فهذه كذبة في مائتي عام وثلاثة عشر عام (20).

2) الشكل الثاني : الآيات أو الفقرات المتناقضة:

- سفر التكوين 4: 2 و4 : 20:

"ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعيا للغنم وكان قابيل عاملا في الأرض" فولدت عادة يابال، الذي كان أبا لساكني الخيام ورعاة المواشي"

فيرى ابن حزم، أن في الفقرتين تناقض واضح حيث يقول: " وهاتان قضيتان تكذب احدهما الأخرى" (21) فالأحق بالتسمية، راعي الغنم هو هابيل، لأنه الأسبق من حيث الولادة والتاريخ وليس يابال.

- سفر التكوين 6: 3 و11: 10- 26:

" فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة"

" وهذه مواليد سام، لما كان سام ابن مئة سنة ولد ارفكشاد بعد الطوفان بسنتين و عاش سام وبعدما ولد ارفكشاد خمس مئة سنة وولد بنين وبنات وعاش ارفكشاد خمسا وثلاثين سنة وولد بنين وبنات عاش شالح ثلاثين سنة وولد عابر و عاش شالح بعدما

ولد عابر أربع مئة وثلاث سنين وولد بنين و بنات، وعاش عابر أربعا وثلاثين سنة وولد فالج، وعاش عابر بعدما ولد فالج أبع مائة و ثلاثين سنة و ولد بنين وبنات، وعاش فالج ثلاثين سنة وولد رعو، وعاش فالج بعدما ولد رعو مائتين وتسع سنين و ولد بنين وبنات وعاش رعو اثنين وثلاثين سنة وولد سروج وعاش رعو بعدما ولد سروج مائتين وسبع سنين وولد بنين وبنات وعاش سروج ثلاثين سنة وولد ناحور تسعا وعشرين سنة وولد تارح وعاش ناحور بعدما ولد تارح مائة وتسع عشرة سنة وولد بنين وبنات، وعاش تارح سبعين سنة وولد أبرام وناحور وهارون".

فابن حزم يظهر في المقابلة بين الفقرة الأولى من سفر التكوين، التي حددت العمر 120 سنة، فيقول : " فأعجبوا لهذه الفضائح ولعقول تتابعت على التصديق والتدين بمثل هذا الإفك الذي لا خفاء به "(22)

" فقال لإبرام (23) علم يقينا أن نسلك سيكون غريبا في ارض ليست لهم و يستعبدون لهم ، أربع مائة سنة. ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها، وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة، وأما أنت فتمضي إلى آبائك بسلام وتدفن بشيبة صالحة وفي الجيل الرابع يرجعون إلى هنا، لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملا"

"ثم قال فرعون ليوسف أنظر قد جعلتك على كل ارض مصر"

فابن حزم، استنتج ثلاثة تناقضات في هذه الفقرات، الأولى، أن يكونوا غرباء بأرض مصر ، لأن يوسف كان من اكبر القادة هناك، سير جميع بلاد مصر، الثانية ، أن أبناء إبراهيم لم يستعبدوا طيلة 400 سنة بل 340 سنة ، لأن الاستعباد بدأ بعد موت يوسف وإخوته والثالثة، أن الجيل الذي خرج، الجيل السادس وليس الجيل الرابع، لأن الجيل دخل مصر ، الثاني والثالث، يعقوب وعيسو وبنو أعمامهما والأسباط العشر ، فالجيل الرابع هم أولاد الجيل الثاني والثالث الذين عاشوا بمصر(24) .

ثم يدرس ابن حزم جميع الاحتمالات، التي أدت للبرهنة على أن الجيل السادس هو الذي خرج من مصر وليس الجيل الرابع ، كما يذكر سفر الخروج.

لشكل الثالث : الفقرات اللامعقولة أو المنسوبة إلى الله وأنبيائه خطأ

إن ابن حزم قد أثبت في التوراة عدد لا بأس به من هذه الآيات أو الفقرات اللامعقولة والمنسوبة خطأ إلى الله (سبحانه) أو أنبيائه، وقد عددناها فوجدنا أن عددها يتجاوز الثلاثين مرة ، ولذلك اقتصرنا على أهمها:

- سفر التكوين 3: 22-23 :

وقال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل و يحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها ".

فهذه حكايتهم عن الله تعالى أنه قال لآدم قد صار كواحد منا مصيبة من مصائب الدهر أي أنه أصبح مثل الذي خلقه فعند أكله من شجرة الحياة صار إلها من جملة الآلهة فهذا عند ابن حزم، يعتبر كفرا منسوبا إلى الله (سبحانه) (25).

-سفر التكوين 15 : 7-8 :

"وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين ليعطيك هذه الأرض لترثها، فقال أيها السيد الرب بماذا اعلم أني أرثها ".

فهذا ، مستحيل ، فكيف يطلب إبراهيم (عليه السلام) ، من ربه، هذا الطلب ، فهذا كلام من لم يثق بخبر الله عز وجل، وهذا الكلام المذكور في التوراة نسبته كاذبة لإبراهيم (عليه السلام)، لأنه كلام شاك يطلب برهانا يعرف به صحة و عد ربه ، كما قال ابن حزم (26).

-سفر التكوين 18: 13-15:

"فقال الرب لإبراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة ألد وأنا قد شخت ، هل يستحيل على الرب شيء . في الميعاد ارجع إليك نحو زمان الحياة و يكون لسارة ابن ، فأنكرت سارة قائلة لم اضحك. لأنها خافت ، فقال لا بل ضحكت".

قال ، ابن حزم، "هذا زيادة أن الله تعالى قال أن سارة ضحكت و قالت سارة لم أضحك، فقال الله بلى قد ضحكت فهذه مراجعة الخصوم وتعارض الأكفاء وحاش لسارة الفاضلة المنبأة من الله عز وجل بالبشارة من أن تكذب الله عز وجل فيما يقول وتكذب هي في ذلك فتجحد ما فعلت فتجمع بين سوأتين أحداهما كبيرة من الكبائر قد نزه الله عز وجل الصالحين عنها فكيف الأنبياء والأخرى أدهى وأمر وهي التي لا يفعلها مؤمن ولو انه فسق أهل الأرض لأنها كفر" (27)

- سفر العدد 11 : 4-6 ،11: 18:

"واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة ، فعاد بنو إسرائيل و بكوا وقالوا من يطعمنا لحما ، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا والقثاء والبطيخ و الكراث والبصل والثوم ، والآن قد يبست انسفنا ، ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المن ". "فيحملون معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك، وللشعب تقول تقدسوا للغد فتأكلوا لحما. لأنكم قد بكيتم في أذني الرب قائلين من يطعمنا لحما، إنه كان لنا خير في مصر ، فيعطيكم الرب لحما فتأكلون "

يقول ابن حزم : "في هذا الفصل آيات من الله رب العالمين له طامة إلا تكاد تنسي ما قبلها فأول ذلك أخبار اللعين المبدل للتوراة بأن الله تعالى قد قال لموسى غدا تأكلون اللحم إلى تمام الشهر قال له موسى هو ستمائة ألف رجل وأنت تقول أنا أعطيهم اللحوم طعاما شهيا أترى تكثر بذبائح البقر والغنم يقتاتون بها أو تجتمع حيتان البحر معا لتشبعهم".

فموسى يظهر أنه شك في قدرة الله (سبحانه و تعالى) ، فهل خفي على موسى (عليه السلام)، أن الله قادر على أن يرزق جميع بني آدم في شرقي الأرض وغربها ؟ فكيف يقول هذا الكلام الأحمق ، فحاش له من ذلك (28).

لقد اقتصرنا، كما ذكرت في بداية هذا الشكل من أشكال النقد الداخلي على عينات ذكرها ابن حزم وقد تخلينا على أخرى لأنها تدور حول محور واحد (29)

الشكل الثالث: نصوص قاطعة على عدم كتابة التوراة من طرف موسى :

-سفر التثنية 34: 5-13

"فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب .و دفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور و لم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم، و كان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات و لم تكل عينه و لا ذهبت نضارته " فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوما. فكملت أيام بكاء مناحة موسى و يسوع بن نون كان قد امتلأ روح حكمة إذ وضع موسى عليه يديه فسمع له بنو إسرائيل و عملوا كما أوصى الرب موسى ، ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه في جميع الآيات والعجائب التي أرسله الرب ليعملها في ارض مصر بفرعون و بجميع عبيده و كل أرضه ، وفي كل اليد الشديدة و كل المخاوف العظيمة التي صنعها موسى أعين جميع إسرائيل ".

فيرى، ابن حزم، أن هنا دليل قاطع على أن موسى لم يكتب التوراة، وأنها محرفة ، حيث يقول ابن حزم "هذا آخر توراتهم وتمامها وهذا الفصل شاهد عدل وبرهان تام و دليل قاطع وحجة صادقة في أن توراتهم مبدلة وأنها تاريخ مؤلف كتبه لهم من تحرض بجهله أو تعمد بنكره وأنها غير منزلة من عند الله تعالى و لا يمكن أن يكون هذا الفصل منزلا على موسى في حياته فكان يكون أخبارا عنهما لم يكن بمساق ما قد كان وهذا هو محض الكذب، تعالى الله عن ذلك وقوله، لم يعرف قبره ادمي على اليوم بيان لما ذكرنا كاف وانه تاريخ ألف بعد دهر طويل ولا بد" (30).

فابن حزم اعتبر أن هذه نصوص قاطعة فثبات عدم نسبة التوراة لموسى ولذلك اعتبرناها شكلا آخر من النقد الداخلي الذي اعتمده ابن حزم لإثبات تحريف التوراة، لكنه لم ينتهي عند هذا الحد من نقده، بل برهن على نتيجته هذه بتناول تاريخ بني إسرائيل حتى خراب القدس على يد نبوخذ نصر القائد البابلي، وبذلك فإن ابن حزم، نقلنا إلى نوع آخر ووجه آخر من النقد، وهو النقد الخارجي.

الوجه الثاني : النقد الخارجي:

يقول ابن حزم معلقا على تاريخ بني إسرائيل والحفاظ على التوراة خلال هذه الفترة التاريخية: "ونحن نصف ما شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبهم .. علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم في ذلك و ما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه

ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة " (31)

فقد تناول ابن حزم تاريخ ملوك و حكام بني إسرائيل من فترة موت موسى عليه السلام إلى تاريخ تحطيم القدس و تشريدهم وسبيهم على يد نبوخذ نصر ، مقسما هذه الفترة الكبيرة إلى فترات ، و كل فترة بين الذين حكموا فيها و ما كان عليه حكامها من كفر أو إيمان .

1-الفترة الأولى:

من موت موسى عليه السلام إلى موت سليمان عليه السلام وانقسام المملكة

-يوشع ، حكمه دام ، 30سنة ، الإيمان

-العازار // // 25 // //

-نفيخاس // // 8 سنوات //

-نفيخاس // // // في خدمة الأوثان ، (الكفر)

-نفيخاس // // 40سنة في خدمة الله ، الإيمان

-علجون // // 18 سنة // الأوثان، الكفر

-اهوبن قاراقيل // // 80// // الله، لإيمان

-سمعان // // // 25 // // // ، //

-الملك راش الكنعاني // 20 // // الأوثان، الكفر

-دبورة حكمها // 40 // // الله، الإيمان

-غراب ملك مدين // 7 سنوات // الأوثان ، الكفر

-جدعون // // 40 سنة // // الله، الإيمان

-ابيمالك // // 3 سنوات // // الأوثان ، الكفر

-ابن جلعاد // // 22 سنة // // الله ، الإيمان

- بنوا عموت // // 18 سنة // // // ، الأوثان ، الكفر

-يفتاح، حكمه دام 6 سنوات ، في خدمة الله ، الإيمان

-ابصان، // // 7 // ، // // ، //

-ابلون // // 10 //، // // ، //

-عبدون // // 8 // ، // // ، //

-الفلسطنيون ، حكمهم دام 40سنة // الأوثان ، الكفر

-شمشون ، حكمه دام 20 // ، // الله ، الإيمان

-بلا حاكم، المدة، ؟

-الكاهن الأكبر، المدة، 20 // ، ؟

- شموئيل // حكمه دام ، 40 // ، في خدمة الله ، الإيمان

-شاؤول // // 20سنة // // الأوثان، الكفر

-داود النبي // // 40 سنة // // الله، الإيمان

-سليمان // // 40 // // // // ، //

وبعد موت سليمان عليه السلام ، افترق ملك إسرائيل ، إلى مملكتين، فصار بنو يهوذا وبنو بنيامين لبني سليمان بن داود عليه السلام في بيت المقدس وصار ملك الأسباط العشرة الباقية إلى ملك آخر منهم يسكن بنابلس على ثمانية عشر من بيت المقدس (32).

3- أوجه أخرى من النقد:

1)- يرى ابن حزم، أن التوراة، لم تكن بالشكل المعروف عليه حاليا، للان التوراة الأصلية كانت وجيزة و صغيرة ، يمكن أن تقرا في اجتماع واحد لا يتعدى ساعات، يقول ابن حازم :" ثم كتب موسى هذا الكتاب و بري به إلى الكهنة من بني لاوي الذين كانوا يحسنون عهد الرب و قال لهم موسى، إذا اجتمعتم للتقديس بين يدي الرب إلهكم في الموضوع الذي تخيره الرب فاقرؤوا ما في هذا المصحف في جماعة بني إسرائيل عند اجتماعهم فقط يسمعوا ما يلزمهم". (33)

ثم ينقلها، ابن حزم، ليدعم مقولته هذه على أساس موسى أمر بحفظ سورة واحدة، فيقول: إلا سورة واحدة ذكرت في توراتهم أن موسى عليه السلام، أمر بان تكتب وتعلم جميع بني إسرائيل ليحفظوها و يقوموا بها ولا يمتنع أحد من نسلهم من حفظها.(34)

2)- الإقرار بتحريف التوراة العبرانية لوجود اختلافات كثيرة بينها وبين التوراة السامرية، وادعاء صحة كل واحدة على الأخرى.

يقول :" أول ذلك أن بأيدي السامرية توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود يزعمون أنها المنزلة ويقطعون أن التي بأيدي اليهود

محرفة مبدلة و سائر اليهود يقولون أن التي بأيدي السامرية محرفة، مبدلة...على آن التوراة التي بأيدي السامرية أيضا محرفة مبدلة.(35)

3- الإقرار، كذاك بتحريف الترجمة السبعينية، بوجود الاختلاف بينها وبين التوراة العبرانية،" وأيضا فان التوراة التي ترجمها السبعون شيخا لبطليموس الملك بعد ظهور

التوراة وفشوها هي مخالفة للتي كتبها عزرا الوراق.

-في أعمار- الآباء بين آدم ونوح عليهما السلام ، التي من اجل ذلك الاختلاف تولد بين تاريخ اليهود وتاريخ النصارى زيادة ألف عام و نيفٌ(36)

- كاتب التوراة الحالية و تاريخ كتابتها:

بعد خراب القدس وبيت الله عند بني إسرائيل على يد القائد البابلي نبوخذ نصر سنة 587 ق.م أخذهم سبايا إلى بابل و حرق التوراة، فيذكر ابن حزم، أن إعادة 1الاعتبار للتوراة، لم يكن إلا بعد سنين وعلى يد الكاهن الأكبر عزرا الوراق، كما يسميه، فيقولٌ:...إلى أن ملها عليهم من حفظه عزرا الوراق الماروني و كان كتابة عزرا للتوراة بعد أزيد من سبعين سنة من خراب بيت المقدس و كتبهم تدل على أن عزرا لم يكتبها لهم و يصلحها إلا بعد نحو أربعين عاما من رجوعهم إلى البيت بعد السبعين عاما التي كانوا فيها خالين و لم يكن فيهم حينئذ نبي أصلا...ٌ(37)

فهو يقرر، على أن عزرا الكاهن، هو الذي أعاد كتابتها في محافظته لما يتمتع به من مكانة دينية تؤهله لذلك و لم يكن هذا إلا بعد سبعين سنة من السبي البابلي وإصلاحها لم يتم إلا بعد أربعين سنة من رجوعهم من السبي، فتخيل ماذا حدث فيها بعد هذا ؟

ولذلك يسمى ابن حزم التوراة الحالية، بالتوراة العز راوية نسبة إلى عزرا.

فيظهر من خلال تحليلنا لكلام، ابن حزم حول التوراة ونقده لها، أن أبن حزمٌقد التزم بمنهجه الظاهري في نقد التوراة (38) وذلك انه لم يتعد حدود التأويل في نقده للتوراة، فالتزم بما قالهٌ أننا لم نخرج من الكتب المذكور شيئا يمكن أن يخرج على وجههٌ (39)، (و يمكن القول بان ابن حزم بعامة يؤكد عقلية منطقية تحسن المقدمات وإنتاج النتائج، و تنفر من الحشو واللغو والاستطراد...ٌ(40).

فهو قد جاء بنقد منظم مفصل وممنهج لنصوص التوراة، بحيث لم يترك أي شيء للصدفة (41) استخدم فيه النقد الحديث من نقد نصي لنصوص التوراة وتاريخي ارجع فيه نسبة التوراة إلى صاحبها عزرا.

والكلمة التي يختم بها ابن حزم، نقده التوراة،و التي تعتبر نتيجة ختامية للمقدمات التي ارتكز عليها، في قولهٌ:هنا انتهى ما أخرجناه من توراة اليهود و كتبهم من الكذب الطاهر و المناقضات اللائحة التي لا شك معه في أنها كتب مبدلة، محرفة وشريعة موضوعة مستعملة من أكابرهم ولم يبقى بأيديهم بعد هذا شيء أصلا ولا بقي فساد دينهم شبهة بوجه من الوجوهٌ (42).

بعد هذا يتبين أن ابن حزم، كان من الأوائل عالميا في استعمال المناهج النقدية في تناوله. الظاهرة الدينية، حيث وظف كل معارفه العلمية، بحيث ظهرت المناهج الحديثة في دراسته السابقة، كالمنهج الفيلولوجي والمنهج التاريخي النقدي، بحيث ا ستحق أن نطلق عليه أب المنهج النقدي التاريخي(la critique historique) كما انه يعد من المؤسسيين الأوائل لمناهج الدراسات التاريخية للأديان و النص الديني.

المراجع

- محمد أبو زهرة: ابن حزم"حياته وعصره أراؤه وفقهه" دار الفكر العربي، القاهرة، ص ص: 22-23.
- ابن حزم، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، مقدمة حمدان حجاجي، موفم للنشر، الجزائر، 1988، ص:.VII.
- عبد اللطيف شرارة، ابن حزم رائد الفكر العلمي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص: .39
4- محمد أبو زهرة، ابن حزم "حياته وعصره، آراؤه وفقهه" ص: 54.
- محمد أبو زهرة: ابن حزم " حياته وعصره، آراءه وفقهه" من ص ص: 7- 263.
- عبد القادر محمود، (د): الفكر الإسلامي والفلسفات المعارضة في القديم والحديث، ص ص 298-302.
- محمد علي أبو ريان، (د): تاريخ الفكر الفلسفي والإسلامي، دار النهضة، بيروت 1976، ص ص 339-400.
- ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، تحقيق إحساس عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960، ص 14.
- ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، وبهامشه الملل والنحل للشهر ستاني، دار المعرفة، بيروت 1983، المجلد الأول، ص 117.
- ابن حزم، الرد على ابن النغريلة اليهودي ورسائل أخرى، ص ص 15-16.
- ابن حزم، الفصل، المجلد (1)، ج(1)، ص: 118.